التفكير الإبداعي والقدرات العقلية العليا

أ.د. خالد رشيد الجميلي

كلية الشريعة

النفحة الأولى
تمهيد

الحمد لله المبدع الأكمل وصلى الله تعالى على الرحمة المهداة السراج الأمثل ﷺ.

أما بعد:

فقد وَددتُ ان احصل على شرف المشاركة في المؤتمر العلمي العائد الى مركز الدراسات التربوية والنفسية لأنني ذو ثقة بالغة بأثر الدراسات التربوية والنفسية في إعداد الفرد الأنبل من البيت الأفضل فالمجتمع الأمثل، هذا ليس رأي الجميلي، بل هذا مبدأ مقدس من مبادئ القرآن الكريم، وفي القرآن العظيم مبادئ صغيرة المبنى عميقة المعنى.

يصلح كل واحد منها لإعداد نظرية بل حقيقة علمية لأن النظريات تدور بين الخطأ والصواب، أما مبادئ القرآن المقدس فهي حقائق علمية لن تخضع للخطأ أبداً.

ومن هذه الحقائق التربوية والنفسية قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[2].

هذه لنعم الأقباس التي تطيب بها الأنفاس، أنها السلسبيل الأوفى نرتشفه من هذا الكأس المُعلى، مُبدِأ التغير كنت أتمنى من مدير مركز الدراسات التربوية والأبحاث النفسية أن يهيئ مؤتمراً خاصاً بعنوان (تغير النفوس).

أيُّ فائدةٍ جمةٍ يرتشفُها المجتمع من مؤتمرات لا تُبدِّل ولا تُغيِّر بينما مؤتمر التغير الذي أدعوا إليه يُثمر ثمرة الدواء والشِفاء لأن المجتمعات الإنسانية في ظرفنا المعاصر رُزئت بأدواء أنزلتها إلى الحياة الحيوانية تارةً والى الحياة الجنونية تارةً أخرى.

ولهذا فإن علماء الإجرام مجموعون على تكاثر الجرائم في كل مكان، حتى البلاد المقدسة كثر فيها الانتحار، وهل ينتحر عاقلٌ لبيب؟! داء الانتحار سموه سبيل الخلاص، وداء رذيلة اللواط والعياذ بالله سموه الزواج المثلي.

داء السَحاق أو المُساحَقة القذر سموه الزواج المثلي بين النساء.

داء المشروبات المذهبة للعقول والمخدرات التي تحطم الإنسان سموه المشروبات الروحية، وكأن الروح السِرُّ الإلهي المقدس المسؤول عن ديمومة الحياة لا ترويه الفضيلة بل ترويه الرذيلة.

داء الزنى الذي جعله الله تعالى حداً عقوبتُه لا تقبل العفو أبداً سمي الآن بالزمالة الجامعية، وبالزواج العرفي المدني أو المسيار، وكأن المرأة المكرمة أنيسة آدم عليه السلام في الجنة جُعِلت كالمرافق العامة للرجال، والأسى يحز في القلب.

داء التمرد على الأُسَر سُميَ الآن بحق الحرية الفردية، داء تمرد الآباء على الأسر سمي الآن حق تخلي الآباء عن البالغين كالكلاب التي تترُك أجراءَها إذا صاروا قادرين على إلتقام ما في القمامة.

لقد اهتزت السلامة وَأَتزت الكرامة، ومَنْ القادر على تغير النفوس من الرذيلة إلى الفضيلة، من الشر إلى الخير، سوى المؤسسات التربوية والنفسية.

لهذا يدعوا الجميلي إلى أن تؤسسَ هذه المؤسسات قنوات تربوية نفسية بالصورةِ والصوت، تستقبل المشردين ليقصوا على المجتمع حياتهم الجهنمية، كيف يعيشون وينامون، كيف يجوعون في ملاجئ الأيتام المخمصة، تأكلهم أكلاً لَمّا، وأُسَر المسؤولين عَن الملاجئ يأكلون طعامهم أكلاً جَمّا، وكيف يخرجون من الملاجئ اذا بلغوا، انا أعرف قصصاً واقعية يندى لها الجبين عن المتشردين حتى قلت في قصيدتي:

أنـــا ضـــائِعٌ أنـــا تائِـــهٌ ومُشـــردُ بَـــينَ الأرائِـــكِ فـــي الحـــدائقِ أرقـــدُ

الأُمُّ ضـــاعَت ثُـــمَّ ضـــاعَ الوالِـــدُ أيـــنَ أبـــي؟ دومَ الحيـــاةِ أنشـــدُ

النقطة الثانية
التفكير الإبداعي

الفكر والتفكير سُلَّم الوصول إلى كل تقدم ورقي وسمو، دونه يكون الإنسان كالحيوان توجهه الغريزة التي جُبِل عليها.

ولهذا ما استغلت الأسود قواها في الرقي والإبداع والإعمار بينما الإنسان الضعيف بدناً وصل إلى قمم الإبداع والإعمار بعقله ابتداءً وبساعدِهِ انتهاءً، ولهذا شاءت إرادة الباري عز وجل أن تكون الأرض مِلكَ الإنسان، حتى يعمرها وينقلها من الأرض الجُرز إلى

الأرض المنبتة، من قاعاً صفصفاً إلى أبراج ناطحات السحاب، لقد انتقل الإنسان بالتفكير من الكهوف والأكنان إلى قصور شاهقات تسر الناظرين.

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[٣].

قال المفسر البقاعي (وَٱسْتَعْمَرَكُمْ) أي أقلَّكُم لما لم يؤهل له الأوثان من ان تكونوا عماراً[٤].

وقال ابن عطية الأندلسي: (أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ) أي اخترَعكُم وأوجدكُم وذلك باختراع آدم عليه السلام.

فكأن إنشاء آدم عليه السلام إنشاء لبنيه، (وَٱسْتَعْمَرَكُمْ) أي اتخذكم عماراً[٥].

ولهذا حاج الله تعالى الملائكة الذين غبطوا الإنسان مذ جعله الله تعالى خليفةً في الأرض حاجهم بقدرة آدم عليه السلام على التفكير والإبداع مذ علمه الله تعالى أسماء المسميات فحفظها وأبدع في جوابه بفضل قوة لُبابهِ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٦].

قال المفسر الإمام الطبراني: قوله تعالى:(وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا) وذلك ان الله عز وجل لما قال للملائكة:(إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً) قالوا فيما بينهم: يخلق ربّنا ما يشاء، فلن يخلق خلقاً أفضل وأكرم عليه منا، وإن كان خيراً منا فنحن اعلمُ منه؛ لأننا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره.

فلما أُعجِبوا بعلمهم وعبادتِهم فضل الله آدم عليهم بالعلم فعلمه الأسماء كلها؛ وهي أسماء الملائكة، وقيل أسماء ذريته. وقال ابن عباس: «أسماء كل شيء من الدواب والطيور

والأمتعة حتى الشاةَ والبقر والبعير وحتى القصعةَ والسكرجة[٧]»[٨]، وقيل أسماءُ كل شيء من الحيوان والجمادات وغيرها؛ فقيل هذا فرس وهذا حمار وهذا بغل حتى أتى على آخرها.

وقال المفسر الرازي: «هذه الآية دالة على فضل العلم، فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقة آدم عليه السلام ألا بأن أظهر علمهُ، فلو كان بالإمكان وجود شيء اشرف من العلم لكان من الواجب أظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم، واعلم أنه يدل على فضيلة العلم بالكتاب والسنة والمعقول»[٩].

وصفوة القول إن فضيلة آدم عليه السلام تكمن في طاقاته اللا محدودة، إذ أودع الله تعالى عنده شرف العقل الذي يفكر به ويتدبر به وهو اقدر المخلوقات على العلم وعلى التعلم وعلى الفكر والتفكير، وما يثمره فكر وتفكر الإنسان يتجلى بالإبداع اللا محدود الذي تجلى أمام الأجيال السالفة والآنفة والرادفة، كل ذلك يعود الى فضل نعمة الفكر والتفكر والتدبُّر.

والى القارئ الكريم أزجي الأقباس الوهاجة التي استنبطنا من خلالها سر عظمة الفكر والتفكُّر والتدبُّر قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[١٠].

لقد فرض الله تعالى على المسلمين ان يفكروا في عظمة آيات الله تعالى، ولهذا فقد تفكر المسلمون في القرآن الكريم وتدبروه حتى بلغت تفاسير القرآن الكريم بالتفكر والتدبر مئات المجلدات المطبوعة ناهيك عن المخطوطة.

هذا كله بفضل قدرة الإنسان التي أودعَها الله فيه على التفكُّر والتدبُّر والا ما بلغت التفاسير مئات المُجلدات، وعلى سبيل المثال لا الحصر ينجم عن التفكر بهذه الآية القرآنية الكريمة مبدأ اقتصادي إسلامي ألا وهو وجوب الإنفاق بحدود الزائِد بعدَ الحاجة.

قال الرازي: «وإذا كان العفو هو التيسير فالغالب ان ذلك إنما يكون فيما يفضل عن حاجة الإنسان في نفسِه وعياله ومن تلزمه مؤمنتهم»[١١].

ولا يتسع سِفرنا للاستدلال على الأسفار القيمة التي كتبت في النظام الاقتصادي الإسلامي، مستنبط من هذا القبس الوهاج أو من الأقباس القرآنية الأخرى.

وحسب الجميلي انه كتب مجلدين كبيرين وهو يتفكر بآية واحدة في القرآن الكريم، آية الدية وما فيها من أحكام جمة في الفقه الجنائي الإسلامي.

قال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾[١٢].

إن هذه الآية القرآنية الكريمة جاءت بعد الآيات القرآنية التي أمرت بالإنفاق وبيَّنت شروطه وآدابه، ولعل أزكى شروط الإنفاق حرمة من المنفق وأذاه، لأنه يحرق صدقاته يوم القيامة ويكون حاله حال هذا الشيخ الذي أُصيبَ بالكِبر وأحرق الإعصار جنته وفي عنقه ذرية ضعفاء وما أشد الإذلال بعد الإعزاز.

هذا المثل القرآني متداخل بين الاقتصاد والاجتماع ولعلَّ الفنان المبدع يرسمهُ لوحةً تُدمي القُلوب، تمثل الذل بعد العزة، وكذلك مُحرقُ صدقاتِهِ بالمنِّ والأذى يجب على اللبيب ان يتفكر ويتدبر فلا يُذكِرُ من انفقَ عليه، إذن قيمة التفكر تُثمرُ عظمة التَذكُّر، الفِكرُ بهذه الصورة الاجتماعية أزكى وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي[١٣].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾[١٤].

هذا القبس القرآني الوهاج جعل التفكير سبيل الوصول إلى الإيمان، لأن الرحمة المهداة ﷺ عاش بين أظهُرِهِم وهو أثقبهم عقلاً وأسطعَهُم استقامةً وما تهمةُ الجنون إلا لفحةُ يأسٍ قالوها مذ فَقدوا صوابَهم واعتلَ لبابُهم، ومن هذا التفكُّر تَتَجلى ثمرة التَدبُّر، حيث الاقتناع والاعتناق بوسيلة التفكر المأمور بهِ شرعاً.

قال أبو حيان الأندلسي الغرناطي: «قال الحسن وقتادة سبب نزولها ان رسول الله ﷺ صعد ليلاً على الصفا فجعل يدعوا قبائل قريش يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم ويدعوهم إلى الله تعالى، فقال بعض الكفار حين أصبحوا هذا مجنون بات يصوّتُ حتى الصباح وكانوا يقولون شاعر مجنون، فنفى الله عز وجل عنه ما قالوا ثم أخبر أنه مُحذر من عذاب الله، والآية باعثة لهم على التفكر في أمر الرسول ﷺ وانتفاء الجنة عنه»[١٥].

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾[١٦].

ما أعظم هذا القبس القرآني الوهاج إذ أمر الإنسان أن يفكر في نَفسِه... النفس كالروح بسر الهي ليس له نظير، جزء من الإنسان يعيش معه حتى الرحيل إلى المبدع الجليل، لا يعرف كنهه مهما فكر وتفكر وتدبر.

إن علم النفس ما وقف على الأقدام وان وجدت فيه مئات الكتب، كيف يصل إلى الهام هذا أزكى وأسمى دليل يسطع بوجود الله تعالى، كيف يتفكر الإنسان في نفسه وهي جزء منه ولم يعرف حقيقتها كما عرف حقيقة الجينات والكروموسومات والدماغ والقلب، إلا النَفس والروح.

فإنه مهما فكر بها عجز عن اكتشاف أغوار أسرارها، قال المفسر السخاوي[١٧]: «يَجوز أن تكون (في) ظرفية والتقدير: أولم يُجددوا أو يحدثوا التفكُّر في قلوبهم؛ كما تقول: اجعل هذا في نفسك، وان يكون محلاً للتفكير، وهو ظاهر»[١٨].

وقال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[١٩].

لقد حصن الله تعالى الإنسان ان يتفكّر بنفسه ليُبصر حقيقة الحقائق في شر الخلائق، ليبصر الإنسان لمدركات أفكاره أسرار النفس التي تحير ذوي الألباب، ولما يصل إلى فصل الخطاب.

ولعل من يطلع على آراء الفلاسفة والصوفية والفقهاء واللغويين والأطباء يشاركني فيما ذهبت اليه؛ كأن النفس محيط لا ضفاف له ولا قرار.

ولا استطيع في هذا البحث الوجيز ان افصل ذلك، راجياً من القارئ الكريم ان يتدبر ذلك، انظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة[٢٠].

قال المفسرون من السادة الصوفية (رحمهم الله) في تفسير أسرار النفس وأغوارها «(وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ) آيات وعجائب القدرة؛ اذ ليس شيء في العالم إلا وفي الأنفس له نظير، مع ما فيه من الهيئات النابغة والمصادر البهية، والترتيبات العجيبة»[٢١].

ومن أغوار وأسرار النفس التي أمرنا الله تعالى بالتفكر فيها أنها تسقم وتعافى، قال الإمام الغزالي: «قد عرفت من قبل إن الاعتدال في الأخلاق هو صُحبة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له والميل عن الاعتدال مرض فيه، فلنتخذ البدن مثالاً فنقول: **مثال النفس** في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها، وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، **مثال البدن** في علاجه

بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه»[٢٢] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[٢٣] إن هذه الآية القرآنية الكريمة أمرت العابد الزاهد بالذكر والفكر، هما جناحا الوصول إلى مرتبة الإحسان وهي أعلى منازل الإيمان، فكر الخالق الجليل، والتفكير بالمخلوق الجميل، التفكر بأسرار السموات وما فيها من كواكب ونجوم وأقمار ومجموعات شمسية، كيف تدور لكل فلك خاص به، فلا تصادم، ولا تلاحم بل كل شيء بميزان، وما أبدعه غير الرحمن، فقد توصل المسلمون بالنظر المجرد إلى علم الفلك وأحصوا الكواكب ولو بَقِيَتْ الخلافة الإسلامية لتوصلوا إلى ما توصل إليه العلماء المعاصرون.

لأن الوسيلة التي يمتلكها المعاصرون تختلف عن وسيلة علمائنا الأبرار، إنها الأجهزة الدقيقة المصورة المكبرة أضعاف مضاعفة لصور الأفلاك.

إننا أولى من غيرنا باكتشافها، لأن الله تعالى قد أمرنا بالتفكر.

ومن يدري لعل العلماء المسلمين يتوصلون إلى ما يبهر العالمين، بعد اختراع الوسائل المعاصرة، لأن بالتفكر حكم مأمور به شرعاً.

ولعل كل ما توصل إليه المعاصرون ما هو إلا خدمة للقرآن الكريم، وهو أدلة تهتف بوجود الخالق العظيم، اذ المخلوق العظيم يدل على وجود الخالق الأعظم.

ولا يتسع بحثنا للحديث عن الآيات الكونية وحسبنا أن نقول إن أساسها وسنخها تحدث عنه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾[٢٤].

الآن بالفكر المعاصر عرفنا ملايين الكيلومترات بين الثرى وبين مواقع النجوم.

وقال تعالى عن محاولة العروج إلى الكواكب: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾[٢٥].

الآن عرف الفكر المعاصر أسرار السلطان الموصل إلى الكواكب وكان الفكر الحديث العظيم تأييداً للقرآن الكريم.

فقد ظهرت موسوعات منها خاصة بالتفسير كلها دلت عن طريق الفكر على صدق الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن الآيات الكونية.

وفي كتاب العلم يدعوا للإيمان، للعالم الأمريكي كربسي مُوريسون، نجده قد برهن بالبراهين القاطعة على إن عجائب علاقات الإنسان بالطبيعة، ووجود الحياة نفسها، تتوقف كلها على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وعلى وجود قصد من خلق الكون، ويتمثل هذا القصد في إعداد روح الإنسان للخلود، وهذه الغاية التي توخاها المؤلف هي غاية جليلة بلا ريب، ولا تعارض بينها وبين الأديان على اختلافها، بل أنها على العكس تؤيدها إذ تثبت الإيمان بالله الذي هو أساس كل دين(٢٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢٧).

أمر الله تعالى الناس بالتَفكير والتفكُّر كُلَّما قرأوا قَصص القرآن لأن القصة القرآنية تختلف عن القصص الأخرى كاختلاف الجبال والحصى.

إذ القصة القرآنية هادفة واعظة مصلحة مغيرة، كلما تفكرنا بها كلما زدنا إيماناً.

أما القصص البشرية التي كتبها الحاصلين على جائزة نوبل وغيرهم فهي قصص بائية تثير الشهوة وتوقع في البلوة لاسيما القصص التي جعلوها أفلام ناطقة مصوَّرة مدمِّرة مدهِورة، تُبرِّر الرذيلة وتزينها، مثل فلم على نهر الحُب وفلم المراهقات وفلم شمعة تحترق وفلم من المسؤول، ومئات الأفلام تزين الرذيلة حتى يقتدي بها الإنسان وكأنها فضيلة، ولقد دعَونا مراراً طلابنا الأبرار وطالباتنا الفاضلات ليتفكروا ويتدبروا قَصَص القرآن.

أنها تجلي الرَّين عن القلوب وإنَها سبل الإيمان، ولو فكرنا بوضع درس القصص القرآني لفَقُهَ طلابنا كيف يكتبون القصص ويخلصوننا من الروايات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، قال المفسر اللغوي الزمخشري: «وقيل: معناهُ إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظهُ فهو ضال، فالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث»(٢٨).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢٩).

لقد أمر الله تعالى الإنسان الحائر بأن يتفكر بالآيات الكونية كيف ينزل الماء من السماء، هل عن طريق التبخير والضغط وما السر الذي يجعل الأرض تهتز وتبتهج وتنبت، ومن أين يأتي حَب النبات الفطري كالكَمأ والمرعى، والحشائش التي جعل الله تعالى فيها أسرار الدواء والشفاء من الأدواء، كل هذه الآيات الكونية أمر الله تعالى الإنسان أن يتدبرها حتى يصل إلى أسرارها وأغوارِها أي سُرِ في الماء، بحيث جعلهُ الله تعالى كالدم في أجساد الأحياء تحيا به الثرى، ومن أين بذور النباتات الفطرية، ولماذا ينبت الكمأ في مكان ويستحيل نباته في مكان آخر، وكذلك مئات الظواهر أمر الله تعالى الإنسان بالتفكر، حتى يخرق الأغوار ويعرف الأسرار، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣٠).

لقد شملت هذه الآية القرآنية الكريمة وجوب التفكر بأسرار الجيولوجيا وبأسرار النبات والجبال والأنهار، وآثار الضوء والنهار على النبات والإنبات، وأثر الليل والنهار على ذلك التفكر واجب لكل ظاهرة كونية، ولهذا كثُرت العلوم وتعددت المؤلفات، وبلغت الحضارة الإنسانية مبلغاً يشار إليه بالبنان نتيجة لوجوب التفكر والتدبر.

قال المفسر الطبطبائي: وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ أي بسطها بسطاً صالحاً لأن يعيش فيه الحيوان وينبت فيه الزرع والشجر، والكلام في نسبة مد الأرض إليه تعالى وكونه كالتوطئة والتمهيد لما يلحق به من قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾ الخ، نظير الكلام في قوله في الآية السابقة: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾.

وقوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾ الضمير للأرض والكلام مسوق بحيث يستتبع بعض أجزائه بعضاً والغرض- والله اعلم- بيان تدبيره تعالى أمر سكنة الأرض من انسان وحيوان في حركته لطلب الرزق وسكونه للارتياح، فقد مد الله سبحانه الأرض ولولا ذلك لم يصلح لبقاء نوع الإنسان والحيوان ولو كانت ممدودة فحسب من غير ارتفاع وانخفاض في سطحها لم تصلح لظهور ما أُدُخِر فيها من خزائن الماء على سطحِها، لشرب الزروع والبساتين فجعل سبحانه فيها الجبال الرواسي وأدخر فيها ما ينزل على الأرض من ماء السماء، وشقَّ من أطرافِها انهاراً وفجر منها عيوناً مُطلة على السهل تسقي الزروع والجنان... فيخرج به ثمرات مختلفة حلوة ومرة صيفية وشتوية برية وأهلية وسلط على وجه

الأرض الليل والنهار، وهما عاملان قويان في رشد الأثمار والفواكه بتسليط الحرارة والبرودة المؤثرتين في النضج والنمو والانبساط والانقباض.

وتسليط الضوء والظلمة النظامين لحركة الدواب والإنسان وسعيهما في طلب الرزق وسكونَهُما للنوم والرقدة.

فمد الأرض يسهل الطريق لجعل الجبال الرواسي وذلك لشق الأنهار وذلك يجعل الثمرات المزدوجة المختلفة، وبالليل والنهار يتم المطلوب، وفي ذلك كله تدبير متصل متحد يكشف عن مدبر حكيم واحد لا شريك له في ربوبيته، وإن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وقوله: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي ومن جميع الثمرات الممكنة الكينونة جعل في الأرض أنواعاً متخالفة، نوعاً يخالف آخر كالصيفي والشتوي، والحلو و وغيره، والرطب واليابس هذا هو المعروف في تفسير زوجين أثنين.

فالمراد بالزوجين الصنف يخالفه صنف آخر كانا صنفين لا ثالث لهما أم لا.

ما تأتي فيه التثنية للتكرير كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾[الملك:٤]، أريد به الرجوع كرة بعد كرة وإن بلغ من الكثرة ما بلغ(٣١).

وقد أمر الله تعالى الإنسان الحائر بأن يمعن النظر ويقدم أسرار الفكر في أسرار التراب، هذا اللغز المحير منه خلق كل حي واليه يعود كل حي ومنه يبعث الإنسان تارةً أخرى، للتراب أسرار وأغوار، كيف يجعلُ الحب والنوى أشجار باسقة... كيف يحافظ على أسرار التكوين، فلا يجعل النخل يحمل زيتوناً وكيف لا يجعل الزيتون يحمل تمراً.

أسرار وأغوار، أمر الله تعالى الإنسان ان يتفكر ويتدبر حتى اذا ما وصل في الرياضة الفكرية إلى أسرار الفطرة والطبيعة خر ساجداً لله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾(٣٢).

وكلما فكر الإنسان بما أمر الله تعالى ان يتفكر فيه كلما آمن بعظمة الرحمن.

قال المفسر جوهري طنطاوي؛ بينما أنا أولف في هذا التفسير اذ خرجتُ ليلة لأمر اقضيه فجلستُ على دكان بجوار دارنا، فحدثني صاحب الدكان وهو رجل صالح، قال: ان فلاناً أصبح رجلا صالحاً جداً، وصار يصلي ولا يفتأ يذكر الله ليلاً ونهاراً، وسبب ذلك أنه قال: إنني مكلف بأعمال تتعلق بدائرة القصر الملكي، فاقتضت الأعمال أن أسير في الجبل

غربي أهرام الجيزة، فأصابني أنا ومن معي عطش شديد، وكان معنا أعرابي، فتبسم وقال: ستُروى بعد قليل، فقلت له: أين الماء؟ ان هذه صحراء قاحلة، فقال: سترى ثم اخذ ينظر في الأرض ويتفرس بين الرمال، ثم نظر بريقاً بين الرمال ضئيلاً جداً، فقال لي هذا هو الشراب، فقلت له: هذا رمل.

قال: سترى، فحفر في الأرض حفرة فطلع منها نبات مكور، فأخرجه وقال: كُلْ هذا، فقلتُ: أنا أطلب الماء وأنت تعطيني طعاماً!! أتسخر منا ونحن عصبة؟ فقال: كُلْ هذا وسترى، وهي نبات أشبه بالبصلة، فأكلتها وما مضت حتى رويت وبقيت طول النهار لا أحتاج لماء ولا أشتاق إليه.

فعرفت ان لهذا العالم إلهاً، ومن ذلك الحين صرت أتذكره كل حين.

وهناك حكاية مصرية أخرى، أخبرني رجل من بلاد مديرية الشرقية بالوجه البحري من بلادنا المصرية، قال: بينما أنا في ليلة واقف في الماء بنهر يسقي الحقول، إذ أنا بالماء قد لمع فيه صور النجوم.

وكنت إذ ذاك وضعت يدي في الطين لأزحزح السد عن مجرى الماء لينزل بحقل احد أعدائي لأغرق زرعهم، فلما لاحت لي بهجة النجوم في الماء، تذكرت عظمة الله التي تجلت لي في الماء، وقلت: هل يجوز أن اعصي الله الذي هذه نجومهُ وهاهي ظاهرة صورها في الماء، فرجعتُ عن ذنبي وتبتُ لربي[٣٣].

وقد أمر الله تعالى بأن يتفكر ويتدبر القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى، إذ فيه أسرار وأغوار لا يحدها حدود في كل وجود لأن القرآن الكريم كلام الله اللا محدود، فكانت فيه الإبداع لا محدود.

وقد بلغت كتب التفسير المطبوعة والمخطوطة نتيجة لقدح زناد الأفكار ستة آلاف ومئة وأربعةً وعشرين (٦١٢٤) تفسيراً[٣٤].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣٥].

قال الثعلبي: (فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ) يعني هم أهل الكتاب[٣٦].

ثم أمر الله سبحانه وتعالى البشر بتدبر وبتفكر أسرار النحل كيف تجمع رحيق الزهر وتصنعهُ عسلاً تعجز الخلائق عن صنعه، يشرِّحُ البشر النحل ليعرف سرَّ جسمِها القادر على صنع أعذب نعمةٍ من نعم الله.

لماذا يعجز الإنسان عن إنشاء مصانع نحل اصطناعية ليجعل العسل كثيراً جداً يتمتع به البشر؟ وما سر الشفاء في هذا الغذاء المحير؟

تفكر ايها الإنسان وتدبر كيف ضعف الطالب والمطلوب بإنشاء الشهد الذي يتمناه الإنسان، الذي وصل القمر وعجز عن الإتيان بأعذب الثَمر.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣٧].

قال الطنطاوي: (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ) يعني العسل، (مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) ابيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف المراعي، (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) لأنه من الأدوية النافعة، وقل من معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، فهو شفاء للناس من الأمراض التي خلق دواء لها، فإن لكل داء دواء، وقد أكثر الله الأدوية كما أكثر الأمراض، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعرفون كيف اتصف النحل بتلك الصناعات الدقيقة والأفعال العجيبة [٣٨].

ثم أمر الله تعالى الخالق الأسمى مخلوقَهُ أن يتفكر ويتدبر أمر نفسه وقلبه وعواطفه، كيف خلق الله تعالى من نفسه له امرأة تميل إليه ويميل إليها، جعل قلبها له سكناً يفترش فيه المودة، ويلتحف فيه الحب والرحمة، تُخلص إليه ويخلص إليها، لا يشمئز منها ولا تشمئز منه.

وهما بالأمس غريبان، وبليلة الزفاف متحابان متقاربان، كأن كلاً منهما نصف يبحث عن نصفه، ولعلها تسقم بسقمه، وتموت بموته، إذا فكر الإنسان بأمره هنأ بسره، انه سر إبداع الخالق الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣٩].

قال المفسر الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي: «في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) أي حواء من ضلع آدم، والنساء بعدَها

من أصلاب الرجال، ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ لتأووا إلى أزواجكم، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ الجماع ﴿وَرَحْمَةً﴾ الولد، فبرحمة الله يتعاطفون ويَرزق بعض بعضاً، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في عظمة الله وقدرته»[٤٠].

سبحان الله... لقد بلغ مبلغ حب الهندية زوجَها مبلغ العُجاب المنقطع النظير، إذ تحرق المرأة الوفية نفسها إذا مات زوجها، وهذا الأمر حرام في الشريعة الإسلامية، ولكنني أشرت إليه ليتفكر الإنسان عن سر الحب الذي يجعل المرأة تصنع ذلك طوعاً لا كَرهاً.

قال ابن بطوطة: «إن كافراً من الهنود ماتَ وأُجِجَتْ النار لحرقه وامرأته تحرق نفسها معه، ولما احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عانقت الميت حتى احترقتْ معه»[٤١].

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٤٢].

أمر الله تعالى الخلائق أن تتفكر في أقرب ظاهرة تلازمها إنها النوم والوفاة والموت، هل يستطيع الإنسان أن ينام قبل أن يحتاج إليه؟

هل يستطيع أن يموت بإرادته؟ وإذا كانت العقاقير قادرةً على أحداث النوم أو الموت، فهل عقاقير الدنيا سالفاً وآنفاً قادرةٌ على بعث الموتى؟ أو على منع الموت أو الوفاة؟!!

هذا موجبٌ للتفكير العميق، لأنه كاشف لوجود المحرك المدبر المحيي المميت الباعث المتحدي، يتحدى الإنسان المخلوق ويأمره أن يتفكر ويتدبر أقرب ظاهرة تلازمه حتى الرحيل والبعث يوم النشور من أجداث القبور.

قال الطاهر ابن عاشور: انتقل هنا إلى الاستدلال بحالة عجيبة من أحوال أنفُس المخلوقات وهي حالة الموت وحالة النوم، وقد أنبأ عن الاستدلال قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فهذا دليل للناس من أنفسِهم[٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤٤].

ما خلق الله تعالى شيئاً عبثاً البتة أبداً، بل جعل الخالق العظيم كل خلق في السموات والأرض مسخراً لخدمة الإنسان، كل يسري ويجري وفق قانون لن يحيد عنه البتة

أبدا، القمر ليلاً والشمس نهاراً والنجوم والكواكب مصابيح يهتدي بها من في البر والبحر والجو.

كأنها ساعات إلهية كونية، يعرف المخلوق مبتدى ليلهِ ومنتهاه كما يعرف من بُعد ظل الشمس وقربهِ أوقات صلاته.

وثم أسرار يعجز الفكر عن إدراكها من حيث غذاء التربة على شعاع الشمس، ومن حيث قدرة المطر على إحياء الأرض التي تهتز وتربوا مسرورةً باستقبالها إياه.

أما المعادن الكامنة في الثرى في البحار وفي الأنهار، فهي بحاجةٍ إلى طول الأفكار حتى تكشف الأسرار، كما اكتشفت أسرار اليورانيوم من التراب الذي لا يعجب الجاهلين وهو يُبهر العالِمين.

كل شيء في الأكوان مسخر للإنسان، قال المفسر الطوسي: «**(وَسَخَّرَ لَكُمْ)** معاشر الخلق **(مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا)** يعني من شمس وقمر ونجوم وهواء وغيث وغير ذلك، وجعل السماء سقفاً مزيناً وجوهراً كريماً.

وسخر الأرض للاستقرار عليها وما يخرج من الأقوات منها من ضروب النبات والثمار والبر فيها إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من ضروب نعمه مما لا يحاط به علماً، وسهل الوصول إلى الانتفاع به تفضلا **(مِّنْهُ)** على خلقه، ثم بين **(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)** يعني في ما بينه **(لَآيَٰتٍ)** ودلالات **(لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** فيه ويعتبرون به»[٤٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩﴾[٤٦].

ان التفكير يشترط فيه ان يكون المفكر موضوعياً لا ذاتياً، فإن اتبع المنهج الذاتي اختلطت الحقيقة عنده فباءَ تفكيره بالفشل وتقطع عنده الوصول إلى الأمل، فأمسى يخبط خبط عشواء في ليلةٍ ظلماء، كذلك حال الوليد بن المغيرة ما استنار بعقله في إتباع المنهج الموضوعي، بل كان ذاتي المنهج مذ فكر قصد اتهام الرحمة المهداة تارةً بالسحر وتارة بقول البشر، بينما الذين اتبعوا المنهج الموضوعي الرشيد المعتمد على إرادة الحقيقة ابتداءً توصلوا إلى حقيقة النور الإلهي الذي جاء به القرآن الكريم.

قال المفسر الطبرسي: (إِنَّهُ فَكَّرَ) ودبر ماذا يقول في القرآن (وَقَدَّرَ) القول في نفسه وإنما فكر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحاً.

وقدر فقال إن قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به وأن قلنا كاهن لم يصدقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان، فنقول ساحر يؤثر ما أتى به عن غيره من السحر، (فَقُتِلَ) أي لعن وعذب، وقيل لعن بما يجري مجرى الكلام[٤٧].

وصفوة القول أن القرآن الكريم قد جعل الفكر والتفكير سبيل الوصول إلى الإيمان بالله تعالى.

ويح قلبي لماذا تمسك المثقفون بقول ديكارد: أنا أفكر لأنني موجود وأنا موجود لأنني أفكر.

لقد أشار الله تعالى إلى قيمة التفكر في ثماني عشر آية كما ذكرنا آنفاً.

ولا ولن يدخل في القلب الإيمان إلا إذا تفكر الإنسان لأن الفكر والتفكر يتولد عنه القناعة، وإذا اقتنع اللبيب اعتنق فأمتزج المبدأ الذي اقتنع به واعتنقه كمزج الأرواح بالأجساد، ولهذا كان شعار المجاهدين، إذا ثبت سهم في صدري أتقدم خطوات لأنني أموت مقبلاً ولا شرف لي إن مت مدبراً.

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٤٨].

إن هذا القبس القرآني الوهاج حصن الإنسان على وجوب التأمل والتدبر والتفكر، ليصل بتفكيره بأغوار وبأسرار المخلوقات كيف تتصدع الجبال؟ بالسلاح الذري أم بسلاح آخر، بحيث يجعل الصخور المتماسكة تتخلى عن قانون التجاذب إلى قانون التباعد فيحدث التصدع، وقد أشار القرآن الكريم إلى تجزؤ الذرة وانقسامها نسبةً إلى المثقال المتكون من أربع غرامات وأربع وعشرين بالمائة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[٤٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾[٥٠].

قال الطنطاوي جوهري: «(فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ): يعني من الذرة (وَلَا أَكْبَرَ) يعني منها»[٥١]، وقد شبه الله تعالى الجبال بالعهن المنفوش، أي بالصوف لما يتفكك بعد ما كان لبداً، ويحدث قانون التباعد مضاد لقانون التماسك، فتنفش الجبال نفشاً[٥٢].

قال تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾[٥٣].

ما كان أحد يخال الذرة يمكن أن تتجزأ ويظهر جزء اصغر منها إلا في هذا الزمان المعاصر، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فتوصل الناس إلى أسرارها بالفكر والتفكر.

وصفوة القول إن المنهج الإسلامي أمر الناس بقدح زناد الأفكار، إذ التفكر يفضي إلى التدبر، والتدبر يفضي إلى الإيمان، الذي يمتزج كالأرواح في الأجسام اذا كان قد نفذ الأفئدة واستقر في الروع عن طرق إمعان النظر وهو الفكر والتفكر.

قال النكري: «الفكر: إمعان النظر في الشيء وأعلم أن النظر والفكر كالمترادفَين، لأن بينَهُما تغايراً اعتبارياً بأن ملاحظة ما فيه الحركة معتبرة في النظر وغير معتبرة في الفكر، والمشهور في تعريفهما ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول نظري تصوري أو تصديقي»[٥٤].

ونتيجة لإمعان النظر فقد حدثت ثورة عارمة في الثروة الفكرية الهائمة بفضل المنهج الإسلامي الذي دعا إلى التفكير والتفكر، فقد ظهرت المذاهب الفقهية، ألفت مئات الأسفار وانقسمت إلى متون صغيرة تحفظ، ثم إلى كتب فقهية متوسطة تفهم، ثم موسوعات عُليا تنتقد وتجتهد وهكذا دواليك.

الكتب حسب عمر الناس، اذ الصغير لا يفقه كتب الحواشي حيث النقد بالاستدلال العقلي أو ألنقلي، بل هذا المنهج يحتاج إلى ما فوق الأربعين.

ومنهج الكتب المتوسطة إلى دون الأربعين، ومنهج المتون إلى صغار الطلبة، ثم منهج القمم العليا بالاجتهاد.

هنالك الموسوعات التي لا يستطيع أن يعي ما فيها إلا من روض عقله حتى صار ثاقباً يعي العلم وان كان لازباً.

ثم ظهر ما يتعلق بعلم الحديث والتفسير وعلم الكلام والنحو والبلاغة واللغة والتاريخ.

ملايين الكتب زينت التراث الإسلامي العظيم، أما على الصعيد الفلسفي فحدِّث ولا حرج عليك.

لقد تُرجِمت كتب الفلاسفة فإذا بالفارابي والكندي وابن سينا وأبن رشد يشرحون ويوضحون حتى انبرى المفكر الغزالي راداً عليهم بكتاب تهافت الفلاسفة[٥٥]، وإذا بالفيلسوف ابن رشد يرد عليه بكتاب تهافت التهافت[٥٦].

ولما اختلط الفكر الفلسفي بعلم العقيدة ظهر بعد إمعان النظر (علم الكلام)، والجميلي يسميه (فقه التوحيد).

وقد أبدع المعتزلة إذ أنجدوا واتهموا مع أجلال لفرق الأشاعرة والماتريدية.

إلا إن المعتزلة قد ثوروا العقل، وأبدعوا فيه غاية الإبداع، فكانوا من اشد الأرواع، عقل وهاج كالأسود في السُبل الفِجاج.

وقد تجلى في الأفق الإسلامي المترامي فرق الصوفية وما أبدعوا فيه من سمو الأرواح، سمواً منقطع النظير، حتى نالَ الحلاج شرف الشهادة... تاج العبادة.

سلك سبيل الاستشهاد خدمةً للفكر والاعتقاد، ولو بقيت الدولة الإسلامية في الأندلس لتوصلت إلى المخترعات لأن بيئتها غريبة كانت تساعد على ذلك.

إذ لا زال الغرب مَديناً إلى الطب الإسلامي كما تجلى في مدرسة ابن سينا والرازي وابن رشد وابن النفيس وداود الأنطاكي.

ومئات من الذين لا نطيق ذكرهم في هذا البحث الوجيز.

النفحة الثالثة
العقل

العقل هو جنس العقول العشرة أو نوع، وتلك العقول أفراده جوهر مجرد عن المادة في ذاته وفعله أي ليس بمادي وغير متعلق وليس بمحتاج إلى المادة في فعله، وهذا العقل يسمى ملكاً بلسان الشرع، وعقلاً مجرداً بلسان الحكماء.

ولم أرَ مبرراً في الغوص في أقسام العقل، لأن هذا مبحث فلسفي ميتافيزيقي يحتاج إلى مؤتمرات خاصة به، والصواب ما قاله بعض المحققين، وهو أنه نور معنوي في باطن الإنسان يبصر به القلب (أي النفس الإنسانية) المطلوب، أي ما غاب عن الحواس بتأمله وتفكره بتوفيق الله تعالى(٥٧).

وبناء على هذا فإن العقل هو النور الذي يستعين به من يُمعن النظر ويُفكر، ولهذا فأن المجنون فاقد لهذا النور الوهاج، فلا يستطيع أن يرى مهما فكر لانعدام الرؤية العقلية عنده، كالبصير الذي لا يستطيع أن يتخصص بعلم الفلك لانعدام الرؤية البصرية عنده، وهذا النور السر الإلهي الذي إذا استل لن يعود وأن تمالأ أطباء الوجود لأنه سر الهي كالروح لا تعود إذ ما تروح، هذه من الأسرار الإلهية الكبرى التي عجزت البشرية عن إدراكها، مع أنها جزء يسري في أبداننا، سبحان الله ليست من عالم علوي سرمدي حتى نعجز عن إدراكه، بل هي جزء منا ونحن جزء منها ومع ذلك لا نرها ولا نعرف سرَّها، ولن نستطيع البتة الإتيان بها جلت حكمة الله تعالى.

والقوى العقلية تنقسم إلى أقسام شتى لا يتسع سِفرنا لذكر القوى العقلية العشرة أو الخمسين، ولكنني أقول أنها كالبصر ثم عقلٌ ثاقب وثم دون ذلك.

ولكن عموم الناس يشتركون في العقل المدرك ولهذا فقد جعله الله تعالى وسيلة الوصول إلى الإيمان إذ يهتدي الإنسان بذلك النور الوهاج حينما يتفكر ويتدبر ويصل القمة العليا.

قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾(٥٨).

هذه النفس المُعاندة تفقه الشيء وتفهمه ولا تعترف به كمن يرى الشمس مشرقةً ويصر على غروبها، هؤلاء لا يناظرون بل ينبذون على ما هم عليه ولهذا قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا

ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾[٥٩].

هذه النفوس هي النفوس المعاهدة تعقل ولا تعترف بما عقلته لأن القلب كالورقة اذا كانت بيضاء استقبلت نور السماء، وإذا كانت سوداء تأخر إيمانها حتى تكفر بالطغيان فتتزكى تلك الورقة مما كتب عليها ابتداءً فتضحى أهلاً لاستقبال الضياء، ولهذا فإن العاقل يجب أن يستعمل العقل بقلب ذاتي غير متأثر بشيء حتى يستطيع أن يتأثر، ولعل هذا السبب جعل الله تعالى أمة العرب البريئة الأميّة حاملة النور الإلهي، إذ إن أفئدة العرب بيضاء لم تتأثر بفكر سلفي أو ديني قبل إشراقة الرحمة المهداة ﷺ عليها.

قال الزمخشري: «(**مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ**) من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته، (**وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ**) أنهم كاذبون مفترون»[٦٠].

قال تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٦١].

هذا استفهام تهديدي؛ لأن العاقل يُسأَل أمام الله عما عقله ولهذا صار العقل مناط التكليف، إذ هو مكلف لأنهُ يَعقِلُ، والصبي غير مكلف لأنه لا يعقل، إذ البالغ عنده العقل الفعال والصبي عنده العقل بالفعل، أي سيكون عاقلاً، ولا يسأل صاحب العقل بالفعل بل يسأل صاحب العقل الفعال، أما المجنون وهو محرم من العقل بالفعل ومن العقل الفعال، ولهذا سقطت التكاليف عنه، بمقتضى قاعدة إذا أخذ ما وهب سقط ما وجب.

قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[٦٢].

إن الإنسان قد يعي قول الله تعالى إذا اتسم بصفاء القلب وبنقاء الروح، ويعي الكلام بتدبره دون وسائل إيضاح مادية، لكن اليهود ذووا نفوس معاندة أحيا الله تعالى البقرة التي أمروا بذبحها فضربوا القتيل ببِعضَها، فبعث الله تعالى فيه الحياة عن طريق ملامسته بعضَ البقرة المنحورة.

حيوان مذبوح يبعثُ الحياة لرجل ذي دمٍ مسفوح فيفصح عن حقيقة قائله، هذه وسيلة إيضاح ليس لها نظير، ولعلهم يعقلون لكنهم معاندون.

ولهذا فقد كان بعض السفسطائيين يناظروننا، لماذا لم يؤمن فلان وفلان وهم من العُقلاء، فكان جوابنا المعاندون العقلاء لم يفقَهوا بعقلهم كأنهم مبصِرون حجبوا أعينهم فهووا بالهاوية.

قال المفسر البقلي: «(فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) فهم من الآية ان الله تعالى أعلمهم إن في قتل النفس إحياء القلب، وفي حياة القلب حياة الروح، وإذا صفت الروح بصفاء حياة القلب عن كدورات النفس، تُحيي جميع الأموات بأنفاسِها وآثارها، كما أحيى عيسى عليه السلام الموتى، لأنه صافي بصفاتها من صفات النفس، فظهرت منه الآيات والمعجزات»[٦٣].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ ﴾[٦٤].

العقل السليم سبيل الوصول إلى الحق الوسيم، ولكن البصيرة إذا غلب عليها الرَّين عجزت عن معرفة الحق، كما تعجز العين أذا عشت من قذى الغشاوة عن رؤية النور، كيف يكون أبو الأنبياء يهودياً ولم تكن التوراة معروفةً في عهده، كما قال المفسر ابن المنذر[٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ ﴾[٦٦].

لقد جعل الله تعالى العقل في هذه الآية القرآنية الكريمة مصباحاً للسياسيين والقادة والحكام وأولياء الأمور ليصطفوا من الرعية الصالحة بطانةً لأن الأعوان والمستشارين إذا كانوا من الأعداء يوغرون صدور الحكام والقادة على الرعية ويحدث الظلم وتتشب نار البغضاء حتى تحطم هذه البطانة السيئة من جعلها له كساءً، كالسربال الذي لُوِّث بالأدواء، ما يلبث حتى يهلك صاحبه.

قال المفسر الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، نزلت فيمن يوالي من المؤمنين والمنافقين لنحو قرابة وصداقة من الجاهلية ورضاع وجوار، أو يوالي المشركين كذلك ومن يوالي المنافقين اليهود لنحو ذلك. ثم قال (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) أي العلامات الدالة على البغضاء لكم، (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ) ما بينا لكم، أو كنتم من أهل التمييز[٦٧].

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[٦٨].

لقد شاءت أرادة الله تعالى أن يكون القرآن الكريم بلغة العرب حتى يعقلوه ويفقهوه، لأن العقل السليم يوصل إلى الحق الوسيم كما قلنا سالفاً، وقد زعم بعض المتعلمين وجود كلمات أعجمية كثيرة في القرآن الكريم، ألا إن الإمام الشافعي من قبل والجميلي من بعد، اثبت خلو القرآن الكريم من أي حرف أعجمي في كتابه أقياس الرحمن في أدلة نفي العجمة عن القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢﴾[٦٩].

لقد جعل الله تعالى العقل السليم سلاح الإنسان اللبيب إذ يحارب الشيطان الرجيم، كلما وسوس في صدره تذكر ببيعته المقدسة لربه، وبناءً على هذا المقتضى فإن ذا العقل الثاقب ينتصر على الشيطان المارد.

جاء في تفسير كنز الدقائق: «(وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ) رجوع إلى بيان معاداة الشيطان، مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله، لمن له أدنى عقل ورأي»[٧٠].

وصفوة القول إن الله تعالى جعل العقل أزكى النعم والآلاء، يستنير به الإنسان السوي ليميز الحق من الباطل ويستنير به إذ هو مصباح المفكرين، كلما كان ساطعاً استطاع صاحبه الوصول إلى العلى في الإبداع.

ولقد مرت البشرية في أطوار المعرفة إذ سما اليونانيون في العلوم الإنسانية، ثم حلق المفكرون المسلمون في شرح الفلسفة اليونانية، جاعلين القرآن الكريم الميزان المقدس وهم يردون ويفندون أقوال الفلاسفة أو يؤيدون إذ يقتنعون فيعتنقون،

وظهر علم المنطق والنحو والبلاغة والصرف وعلم الكلام، والفقه والأصول والتفسير وعلوم القرآن وعلم الفلك وغير ذلك من السمو الإنساني، لاسيما في العلوم الطبية وغير ذلك، أما العصور المتأخرة فقد شهدت الإنسانية فن المخترعات المعاصرة، هذه هي الأطوار التي قصدتها.

تارةً يتفجر العقل بالعلوم الإنسانية وتارةً يتفجر بالعلوم المادية وللعقل رياضة كرياضة الأجساد، إذ يقوى بالتفكر وبالتدبر ويضعف بالجمود ولهذا فإن القرآن الكريم بين صفات أولي الألباب أي أُولي العقول، **الصفة الأولى** لا يفترون عن ذكر الله، **والصفة الثانية** لا يفترون عن التفكر بالمخلوقات المادية كأسرار السموات والأرض، وأسرار الليل والنهار والشمس والقمر إلى غير ذلك، فكلما زاد التفكر والتدبر زاد العقل قوةً وإبداعاً وكلما جمد التفكر جمد العقل وضعف حتى يكون صاحبه أبلهاً لا يعي ما حوله.

ولهذا فإن منهج التفكر هو منهج الإبداع العقلي، هب أن رجلاً لا يروض قدميه أيكون قوياً كما يجب، كذلك الإبداع العقلي يتفجر كلما زاد الإنسان تفكراً وتدبراً.

وأنا اقترح على التربويين أن يجعلوا درساً خاصاً في التأمل والتفكر والتدبر يواكب الطالب من هو في سن التمهيدي ويبقى منهج التفكر يواكبه حتى الرحيل، من المحبرة إلى المقبرة كما قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل.

وما أبدع مناهج الصوفية الغراء إذ كانوا يمتحنون المريدين، كما أمر أحد المشايخ ثلاث طلاب كل يذبح دجاجة بحيث لا يراه أحد البت أبداً، فجاء أبدعهم عقلاً وأرجحهم إلى الشيخ والدجاجة سليمة بيده، قال الشيخ لمَ لمْ تذبحها؟ قال حيثما أذهب يراني الله تعالى.

هذا هو ترويض العقل والفكر، يرسل أحدهم من يحتطب في فصل الربيع، فما أتى إلا بعودٍ يابسٍ واحدٍ، قال الشيخ: لم؟ قال: كلها منشغل بذكر الله، إلا هذا العود الميت اليابس.

هذا منهج التفكير بقوله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾[٧١].

وفي مبحث الرياضة العقلية أذكر الإمام الشافعي نام ذات ليلةٍ في بيت الإمام مالك (رحمهما الله)، استيقظوا لصلاة الفجر فلم يتوضأ الإمام الشافعي، قيل له أليس النوم ناقضاً للوضوء؟ قال: ما نمت الليلة بل تدبرت استنباط كذا حكم لكذا مسألة فقهية، المنهج الافتراضي قد روض عقول الفقهاء، إذ الناس ينامون وهم يروضون قواهم العقلية فيستنبطون ألوف الأحكام لألوف المسائل الواقعة أو المفترضة.

وكما تتجلى سلامة الأجسام بقلة الطعام تتجلى سلامة الأرواح بترك الآثام[٧٢]، لأن المسكرات مذهبة للعقول والمخدرات مبيدة للعقول فهل تيقَّظ التربويون فدعوا إلى إنقاذ المجتمع من المخدرات.

ويشرفني أن أتوج هذا البحث الوجيز بقطرات من غيث الإمام الغزالي ، إذ يقول عن العقل وترويضه: إن الله تعالى خلق العقول وكمل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته والتفكر والاعتبار مما أودعَه من العجائب في مصنوعاته لقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٧٣]، وقولـــه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[٧٤].

وقال أيضاً: أعلم رحمك الله إذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه، فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض ممدودة كالبسط، والنجوم منصوبة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر.

وكل شيء من ذلك معد مهيأ لشأنه، والإنسان كالمالك للبيت المخول لما فيه، فضروب النبات لمآربه، وأصناف الحيوانات مصروفة في مصالحهِ، فخلق سبحانه السماء وجعل سبحانه لونها اشد الألوان موافقة للأبصار وتقوية لها، ولو كانت أشعة أو أنواراً لأضرت الناظر إليها، فإن النظر إلى الخضرة والزرقة موافق للأبصار، وتجد النفوس عند رؤية السماء في سعتها نعيماً وراحة لاسيما إذا انفطرت نجومَها وظهَر نور قمرها[٧٥].

وما أجمل قول الإمام الحلاج في الرياضة العقلية المذهلة إذ قال: الإدراك إلى علم الحقيقة صعب فكيف إلى حقيقة الحقيقة؟ (وحق) الحق وراء الحقيقة، والحقيقة دون الحق[٧٦].

ويميل الإمام الغزالي إلى حقيقة تطور العقل بالرياضة الفكرية لأن العقل عنده ذو مراتب شتى أولها العقل الهيولاني ويقصد به من كلمة (الهيولة) العقل الفطري الأول الذي يواكب الإنسان السوي.

وقد اعتمد الإمام الغزالي في أطوار العقل على قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾[٧٧].

قال الإمام الغزالي في مراتب العقل وأطواره اعتماداً على هذا التشبيه القرآني البليغ، فالمشكاة مثل للعقل الهيولاني، فكما إن المشكاة مستعدة لأن يوضع فيها النور فكذلك النفس بالفطرة مستعدة لأن يفيض عليها نور العقل.

ثم إذا قويت أدنى قوة وحصلت لها مبادئ المعقولات فهي الزجاجة فإن بلغت درجة تتمكن من تحصيل المعقولات بالفكرة الصائبة فهي الشجرة لأن الشجرة ذات أفنان فكذلك الفكرة ذات فنون.

فإن كانت أقوى وبلغت درجة الملكة فإن حصل لها المعقولات بالحدس فهي الزيت فإن كانت أقوى من ذلك فيكاد زيتها يضيء فإن حصل له المعقولات كأنه يشاهدها ويطالعها فهو المصباح ثم إذا حصلت له المعقولات فهو نور على نور، نور العقل المستفاد على نور العقل الفطري، ثم هذه الأنوار مستفادة من سبب هذه الأنوار بالنسبة إليه، كالسراج بالنسبة إلى نار عظيمة طبقت الأرض، فتلك النار هي العقل الفعال المفيض لأنوار المعقولات على الأنفس البشرية.

وإن جعلت الآية مثالاً للعقل النبوي فيجوز، لأنه مصباح يوقد من شجرة أمرية مباركة نبوية، زيتونة أمية لا شرقية طبيعية ولا غربية بشرية.

يكاد زيتها يضيء ضوء الفطرة وإن لم تمسه نار الفكرة، نور من الأمر الربوبي على نور من العقل النبوي. يهدي الله لنوره من يشاء[٧٨].

وللعقل الكامل أو الذي قارب الكمال سمات منها: أن يكون قوي الذكاء قوي الفطنة ثاقب المدركات، حديدي الملكة، سريع الحفظ، مقتدراً على الإبداع... إلى غير ذلك، وقد حارب المفكرون المسلمون الجهل لأنه قرين الجنون، ولهذا قالوا: (لسان الجاهل مفتاح حتفه)، و(من جهل قدرة نفسه كان بقدر غيره أجهل)، (لا مصيبة أعظم من الجهل)، (حسب المرء من العي (الجهل) أن يؤذي جليسه بما لا يعنيه)، (قطيعة الجاهل تعادل صحبة العاقل)[٧٩].

(نقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم)، (لو تجسد العقل لأضاء معه الليل، لو تجسد الجهل لأظلم معه النهار)، (الجاهل كل شيء ضده)[٨٠]، (رأس الجهل

الاغترار)، (أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه)، (من جهل المرء أن يعصي ربه في طاعة هواه، ويهين نفسه في إكرام دنياه)، (في قطيعة الجاهل وقاية من الجهل قليلة وكثيرة)[٨١].

والعقل مهما تكامل يدرك وجود الله تعالى بصفته قوة مؤثرة فاعلة خالقة مبدعة مقتدرة.

لكن العقل مهما بلغ يبقى عاجزاً عن إدراك صورة تلك القوى كالقوة الكهربائية تدرك ولا تلمس ولا تشم ولا ترى، بل تدرك ببصيرة المدركات التي ترى الآثار ولا تدرك صورة المؤثر.

قال سقراط: «إن الباري تعالى لم يزل هوية فقط، وهو جوهر فقط، وإذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا المنطق والعقل قاصرين عن أكتناه وصفه، وحقيقته وتسميته، وإدراكه لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره.

فهو المدرك حقاً، والواصف لكل شيء وصفاً، والمسمى لكل موجود أسماً، فكيف يقدر المسمى أن يسميه أسماً؟ وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفاً؟ فنرجع فنصفه من جهة آثاره وأفعاله، وهي أسماء وصفات، إلا إنها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر، المخبرة عن حقيقته، وذلك مثل قولنا، إله، أي واضع كل شيء، وخالق أي مقدر كل شيء، وعزيز أي ممتنع أن يضام، وحكيم أي محكم أفعاله على النظام وكذلك سائر الصفات»[٨٢].

وقد تجلت فرقة المعتزلة معتمدةً على القرآن الكريم والحديث الوسيم، ثم منحت العقل السليم حق قدرته على اكتشاف الأحكام، والعقل عندهم كاشف لا مُشرع، ألا أن المجترين لا المجتهدين، قد شنوا عليهم حرباً ضروساً إلى عصرنا، إذ كثيراً ما هاجموا الجميلي لشدة حبه وميله إلى منهجهم الميمون، هم الذين فندوا أفكار الفلاسفة بأسلوب عقلي.

أما فقهائنا الأبرار، فأنهم متخصصون بالفقه لا بالفكر[٨٣].

وقد أطلق المعتزلة للعقل العنان فأوجبوا على الإنسان أن يعرف الله سبحانه وتعالى بطريق النظر، أقصد النظر الفكري، قال عبد الجبار القاضي[٨٤]: إذ لم يكن بُد من النظر، فينبغي أن ينظر في هذه الحوادث من الأجسام ويرى جواز التغير عليها فيعرف أنها مُحدَثة، ثم ينظر في حدوثها فيحصل له العلم بأن لها محدثاً قياساً على تصرفاتنا في الشاهد، وهذا

أول علم يحصل بالله تعالى على طريقة أبي الهذيل وهو الصحيح، ثم ينظر في أن ذلك المحدث لا يجوز أن يكون هو ولا مثله فيحصل له العلم، بأن له محدثاً مخالفاً لنا وهو الله تبارك وتعالى.

وهذا أول علم يحصل بالله تعالى بالنظر والاستدلال عند أبي علي.

وقال الشيخ أبو علي وهو من كبار المعتزلة في العلم: «إنه مدرك لولا ذلك لما وجد الإنسان نفسه عالماً، لأن هذا الوجود يرجع إلى إدراك العلم»(٨٥).

وقال القاضي أبي الحسن في مدى المُدركات العقلية: «أن العاقل يصح أن يعلم حصول وجه الوجوب في النَظر في باب الدين فيجب ذلك عليه كوجوب سائر الأفعال»(٨٦).

النفحة الرابعة
الفرق بين العقول والألباب

وردت الألباب في آيات شتى منها قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨٧).

تركنا الخوض في أقسام العقل عند الفلاسفة، وينبغي أن لا ندع ذلك في القرآن الكريم.

إذ في القرآن الكريم عقل وقد استوفيناه بحثاً وفيه اللباب جمع لُب، ويُراد بالألباب أصحاب العقول الثاقبة المدركة لأصعب المعارف والمدركات.

نعم الألباب يُراد بها أقوى العقول النورانية التي تُدرك الحِكَم والعلل، ونستطيع القول، كل لبيب عاقل، وليسَ كل عاقل لبيب.

إذ أن راعي الغنم يمتلك عقل وألا لانفلتت الأغنام من بين يديه، لكنه لا يدرك المعارف كما يدركها العبقري ذو الملَكة المعرفية الثاقبة.

ولا ترادف بين العقول والألباب، كما لا ترادف بين الصبي والشيخ، نعم إن الصبي والشيخ يشتركان في الإنسانية كما يشترك الفيلسوف والأسد في الصفة الحيوانية، وكما أثبتنا خلو القرآن الكريم من العجمة على ما فصلناه في كتابنا أقباس الرحمن في أدلة نفي العجمة عن القرآن، سنفصل ذلك إن شاء الله تعالى في سفرنا الكبير «آلاء الرحمن في أدلة نفي الترادف عن القرآن».

قال الفيروزآبادي: «(اللُب: ما ذكا من العقل، وكل لب عقل، وليس كل عقل لباً). ولهذا خص الله الأحكام التي لا تدركها الا العقول الذكية بأولي الألباب، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٨٨]. ونحو ذلك من الآيات»[٨٩].

واذا بلغ أصحاب العقول قمة الإبداع العقلي صارت عقولهم تأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، وهذا هو الذي يسمى برهان الرب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[٩٠].

قال المفسر أطفيش: «(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ) والنُهى: جمع نُهية بضم النون وهي العقل سمي لأنه ينهي عن الباطل»[٩١].

ولا ترادف بين العقول والنهى كما قلنا بل النهى بلوغ سمو الغايات اذا تكاملت العقول.

قال الأصفهاني: وناقة نَهية تناهت سمناً، والنَهية: العقل الناهي عن القبائح جمعها نُهى.

قال: «(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ)، وتنهيه الوادي حيث ينتهي اليه السيل، ونَهاء النهار ارتفاعه وطلب الحاجة حتى نَهيَ عنها أي انتهى عن طلبها، ظفر بها أو لم يظفر»[٩٢].

ولأن العقل يمنع صاحبه من المنكر والرذيلة سمي حِجراً.

لا ترادفاً بل كتابة بصفة المنع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾[٩٣].

قال الأصفهاني: «وتصور من الحِجر معنى المَنع لما يحصل فيه، فقيل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعوا إليه نفسه»[٩٤].

وما أبدع البحوث إذا كان ختامها مسكاً وقد وجدت مسكاً زكياً إلا وهو رشفات من أقوال العظماء في العقل ووددت أن اذكرها لأن لا تبقى صعبة المنال أريدها أن تكون قريبةً مكاناً لأنها بعيدةً سحيقة مكاناً.

١- قال الرحمة المهداة ﷺ: «**ما أودع الله عبداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما**».

٢- قال الرحمة المهداة ﷺ: «**العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل**».

٣- وعن أنس ﷺ: قيل يا رسول الله، الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب، قال: «**ما من آدمي إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها فمن كانت سجيته العقل، وغريزته اليقين، لم تضره ذنوبه**. قيل كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: **لأنه كلما أخطأ لم يلبث ان تدارك ذلك بتوبة وندامة على ما كان منه، فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة**».

٤- وعنه ﷺ: اثنى قوم على رجل عند رسول الله حتى بالَغُوا في الثناء بخصال الخير، فقال رسول الله ﷺ: **كيف عقل الرجل؟** فقالوا: يا رسول الله، نخبرك عنه باجتهاده في العبادة وأصناف الخير، وتسألنا عن عقله؟ فقال نبي الله: **أن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات، وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم**.

٥- قال الحسن بن يسار البصري: كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده.

٦- قال عامر بن قيس[٩٥]: إذا عقّلك عقلك عما لا يعنيك فأنت عاقل.

٧- وقال لقمان: غاية الشرف والسؤدد حسن العقل، فمن حسن عقله غطى عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه مولاه.

٨- وعن علي ﷺ: العاقل من وعظته التجارب.

٩- وكان يقال: الأديب العاقل الفطن المتغافل.

١٠- قال عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث[٩٦]: ما رأيت عقول الناس إلا متقاربة إلا ما كان من الحجاج[٩٧] وإياس[٩٨].

١١- قال علي بن عبيدة[٩٩]: العقل ملك، والخصال رعيته، فإذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها، فسمعه أعرابي فقال: هذا كلام يقطر عسله.

١٢- قال معن بن زائدة[١٠٠]: ما رأيت قفا أحد إلا عرفت عقله، قيل: فأن رأيت وجهه؟ قال: ذاك حينئذ كتاب أقرأه.

١٣- قال الفيلسوف: عقل الغريزة سلم إلى التجربة. وقيل أيدي العقول تمسك أعنة الأنفس.

١٤- وقيل كل شيء إذا كثر رخص غير العقل، فإنه إذا كثر غلا.

١٥- وقوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾[١٠١]: قيل من كان عاقلاً.

١٦- وقيل: العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء.

١٧- قال برز جمهر[١٠٢]: العاقل متصفح[١٠٣]، والجاهل متسمح[١٠٤].

١٨- وصف المعلى بن أيوب[١٠٥] ابن الزيات[١٠٦] فقال: كأنه لسان حية من ذكائه.

١٩- قال أبو العيناء[١٠٧] لرجل: والله ما فيك من العقل الا بمقدار ما تجب به الحجة عليك، والنار لك.

٢٠- قال إعرابي: لو صور العقل لأظلمت معه الشمس، ولو صور الحق لأضاء معه الليل، وانك من كليهما لمعدم.

٢١- قيل: العاقل من كان له على جميع شهوته رقيب من عقله.

٢٢- قيل: من لم يؤسس عقله على التقوى فلا عقل له.

٢٣- قيل: يعيش العاقل بعقله حيث كان، كما يعيش الأسد بقوته حيث كان.

٢٤- قيل: كل شيء يحتاج الى العقل، والعقل يحتاج الى التجارب.

٢٥- يقول البروفسور ر.س.ودورث[١٠٨]: فالمفكر هو مكتشف وذروة اكتشافه إدراك حقيقة كانت مجهولة لديه سابقاً.

وعليه فالتفكير يمكن تشبيهه بالاكتشاف العقلي إلا أنه يختلف عن الاكتشاف المتحرك المجرد من نوع التجربة والخطأ.

ويقصد المؤلف تقسيم الأفتكار إلى افتكار عقلي بتذكر المفقود ويقصد بالاكتشاف المحرك حركة الإنسان في البحث عن المفقود ونحن لا نتفق معه في هذا التقسيم، بل نعد التفكر تحريك العقل كما تحرك العين البصر.

أما البحث عن المفقود فهو يعتمد الاكتشاف الحسي بعد العجز عن التذكر، ونقسم الإدراك إلى إدراك فكري وعقلي، والإدراك الفكري يكون بواسطة تحريك العقل ثم القلب يتدخل إذ ينير العقل إذا فكر به الإنسان مثل الدماغ مثل محرك القوى الكهربائية.

لا يستطيع ان ينير المصباح، إذا كان محترقاً وكذلك الدماغ لا يستطيع أن ينير القلب، اذا كان تحت ضلالة الغلف والرين.

لهذا اعتمد المنهج الإسلامي العقلي على التخلية قبل التحلية اعتمد على محو ما في القلب حتى يعود كالورقة الناصعة البيضاء، تستقبل حقائق الأرض والسماء.

وألا فالقلب كالمصباح المحترق، الكفر بالجبت والطاغوت والشيطان هو سبيل الإيمان.

وبناءً على هذا فإن التربية السامية المفضية إلى التزكية العالية انجح وسيلةٍ لإعداد القلب السليم والعقل الوسيم، هذا ما ابتغيناه في سفرنا المخطوط المنهج الأكمل في مبادئ المجتمع الأمثل الناجم عن البيت الأفضل الناجم عن الفرد الأنبل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النفحة الخامسة
خلاصة البحث

أن أعذب وأزكى ما امتاز به الإنسان عن الحيوان هو التفكير والقوى الإبداعية العقلية.

وهذه السمة الجليلة مع انها مكرمة إلهية وموهب ربانية، فإنها تخضع لجهد المربين الربانيين الربيين.

لأن التفكير والقوى العقلية، كالقنبلة الذرية، وكالطاقة الكهربائية يمكن أن يطورها المربون ويوجهوها نحو الخير الرائد أو نحو الشر البائد.

لهذا فإن المنهج التربوي الإسلامي العظيم حَضَ الآباء على حسن تربية الأبناء مذ هُمُوا ذَر في الأصلاب عن طريق حسن اختيار الأمهات، وحسن اختيار الأمهات الآباء.

لأن المعرة عقوبة اجتماعية تواكب من رزء بها قروناً، وهذا مفضٍ إلى عقدة الوليد المنتظر، كما يجب على الأبوين حسن اختيار الأسماء ليوصدوا أفواه الفضوليين في الأدب الساخر.

بل يجب على الأبوين الاقتصاد في العلاقة البائية، حفظاً على الحمل من الإسقاط، اذ الحمل حملان، حمل خفيف نباتي يتجلى من لحظة اللقاء البائي، بلقاء الحيمن القوي مع البويضة القوية السليمة.

وألوف الحيامن تزفهما زفاً، فرحاً وابتهاجاً، كما صوِّرت في النواظير المعاصرة، ولهذا من أفتى بجواز إجهاض الحوامل فهو ضال مُضل.

والحمل الثاني الحمل الثقيل، مذ تبعث الروح الإنسانية في نهاية الشهر الرابع من الحمل، وهنا يجب تغذية الحامل بكل ما تشاء، ولهذا أوجب فقهائنا على جار الحامل ان يعطيها ما اشتهت من طعامه فإذا أبى وسقط الحمل وجب عليه الدية، لأن المتسبب ضامن بالتعدي، وقد تعدى عليها بحرمانها أما الاحتجاج بحرية الإنسان في بيته فهذا سخف وهراء.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١٠٩].

والأخ يعاقب إذا اخل بمبدأ التكافل الاجتماعي المأمور به شرعاً، وبعد الولادة يهشم انف الشيطان لنحر دم العقيقة لأن العقيقة تفرج كرب الجائعين، فيدعون للصبي بالخير والسلامة من رب العالمين، وتفتتح مسامعه بالآذان والإقامة، ثم الإرضاع واجب على الوالدين وعلى الوارث أن شاء القدر أن ينشأ يتيماً، اذ يقترن كافله مع الرحمة المهداة في الجنة، ثم التربية المثلى بأتباع الطرق الفضلى حتى ينشأ مستقيماً سليماً[١١٠].

وقد ألف علمائنا الأبرار أسفاراً كأنها كواكب الأنوار اختصت بالخلق العظيم، التي يجب ان يوجه الإنسان بمقتضاها مذ يعيش صغيراً حتى ينشأ كبيراً.

ولا وقت لنا لتفصيل ذلك، بل هي بحاجة خاصة إلى مؤتمرات تربوية أخرى، وبحاجة إلى قنوات تربوية صورة وصوت لأنها تنقذ الإنسان الحائر وتوجهه إلى السبيل الزاهر، حيث ان الخلق العظيم كالمقود الذي ينقذ الطائرة من السقوط كلما حسن القائد وكلما حسن المربي الرباني وجد السمو العقلاني كلما تلبس بالفشل تقطع الأمل.

فتوجه الفكر نحو الشر وتوجهت القوى العقلية من قوة إبداع وتطوير إلى قوة تبار وتكسير.

ولهذا ندع إلى إنشاء مؤتمرات وقنوات خاصة بالتربية وبالأخلاق، لنضمن توجيه الملكات والمواهب والقوى العقلية نحو الخير والإبداع[١١١].

ويجب بالضرورة على المربين ان يواكبوا الطالب ويصدروا أحكاماً عليه، كيف يبدع في جانب وكيف ل يبدع في جانب آخر.

وليس للتربية وللتوجيه حدود حتى ينتهي الوجود، لأن الفكر والقوى العقلية يمكن أن تتطور إذ إن الباري عز وجل خلق الإنسان أطواراً، ولهذا قد يبدع عقله في العشرين أو في الأربعين أو في السبعين.

ثم العقل قوي سليماً كلما كثرت رياضته الفكرية، ولهذا فإن العلماء أبعد الناس عن داء الهرم نظراً لاستمرارية قواهم الفكرية بالتفكير والإبداع.

ولطالما تمنيت وجود مشرفين تربويين من كبار العلماء يزورون الأساتذة في الجامعات بين حين وحين؛ لأن هذه الفكرة وسيلة مفضية إلى استمرارية ممارسة الأستاذ في بحثه وفي تحضيراته، وقد بلغني من طلبتنا الأبرار ان بعض الأساتذة أذا افتقدوا الملزمة في المحاضرة بقي في مناورة كأنه عصفور في عجلة يتمنى الخروج منها، ولات حين مناص.

ويشترط في تقوية العقول والملكات[١١٢]، إجبار الأستاذ على إلقاء المحاضرات العامة حتى يجبر جبراً على التحضير وإلا شاهت سمعته، ومن الأخطاء التي يندى لها الجبين ان الجامعات أو الكليات ترشح كتباً للتدريس كان معمولاً بها في السنين من القرن الماضي.

لأن مؤلفها ينتمي إلى الحزب الذي ينتمي إليه رئيس الجامعة أو عميد الكلية، هذا الخطأ الذميم جمد عقول الأساتذة المعاصرين اذ يجب ان يجبر أستاذ المادة على تأليف كتاب خاص بها، وبهذا يكون البحث والتأليف كالماء والغذاء يجبر الحي على تناوله، وقد عرفنا من المعاصرين من رزءَ بعقدة الإهمال، وهذا شر الإذلال.

ولا نستطيع في هذه الخلاصة ان نوجز ما قدمناه عن الفكر والقوى العقلية في الإبداع.

وحسبنا قولنا أن المفكرين الإسلاميين قد فصلوا ذلك تفصيلاً شافياً وأوضحوه إيضاحا سامياً، إذ الفكر عندهم كالجسد ما لم يغذه الأبوان ينشأ عليلاً، كذلك العقل ينشأ هزيلاً، ما لَم يُغذهِ الوالدان بالتربية المثلى وللمفكرين التربويين الإسلاميين آراء تقر بها المقل استطاعت أن تنشأ ألوف العلماء.

ان الصحراء العربية ما كان بها إلا الشعراء، ولما أشرقت شمس الإسلام تجلى علم النحو والصرف والبلاغة والعروض والتجويد والتفسير وعلوم القرآن وعلم الفقه وعلم أصول الفقه وعلم المنطق وعلم أصول الحديث وفقه التوحيد الذي يسميه الجميلي وهو المعروف (بعلم الكلام).

كما تجلت العلوم الطبيعية وعلوم الهندسة المعمارية. أما الفلسفة فلولا العلماء المسلمون لما فهمتها العقلية الغربية البت أبداً، اذ جعلها ابن سينا والفارابي وابن رشد

والأفاضل المعتزلة جعلوها رواءً بعد ما كانت صلبةً ثلجا، جعلوها فراتاً بعد ما كانت في أغوارٍ لا قرار لها ونحن نستطيع ان نفجر ملكات العقول والأفكار كلما واكب العلماء الإنسان، حتى يرحل الى المبدع الأسمى هنالك يحال الإنسان على التقاعد من المحابر حتى المقابر، لهذا فإننا ندع الدولة إلى حرمان الأساتذة والباحثين من قانون التقاعد لأن المتقاعد قاعد.

إلا اذا واكبه مرض عضال، اللهم اشرح صدور من يعون ويفقهون مقصد حتى يشرع قانون بقاء الأساتذة والباحثين، وبهذا نضمن استمرارية عمل العقول والأفكار حتى أجداث الأحجار.

وقد بلغت عتاية الفقهاء الأبرار بالقوى العقلية الإبداعية مبلغاً يشار إليه بالبنان في كل زمان ومكان، اذ أباحوا للمجتهد أن ينقض اجتهاده، وهو ملزم بالرجوع عن رأيه الأول ما دامت قوته العقلية أرشدته إلى سواء السبيل.

قال ابن الصلاح الشهرزوري: «إذا أفتى بشيء ثم رجع عنه نظرت فإن أعلم المستفتي برجوعه ولم يكن عمل بالأوّل بعد لم يجز له العمل به، وكذلك لو نكح بفتواه أو استمر على نكاح ثم رجع لزمه مفارقتها.

كما لو تغير اجتهاد من قلده في القبلة في أثناء صلاته فإنه يتحول، وان كان المستفتي قد عمل به قبل رجوعه.

فان كان مخالفاً لدليل قاطع لزم المستفتي نقض علمه ذلك وإن كان في محل الاجتهاد لم يلزمه نقضه»(١١٣).

وما أعظم علماء الفقه التربوي الإسلامي إذا اشترطوا على طالب العلم أن يطلب علمه لله وفي الله لا يقصد إلا وجه الله.

وهو يفجر قواه العقلية خوفاً من الرقيب الحسيب، أما إذا طلب العلم للدنيا كانت الدنيا حسبه اذا نال مرتبة الأستاذية عطل قواه بينما طالب العلم لله وهو يوشك ان يحتضر سال عن مسالة علمية فقال له الشيخ ما تصنع بالجواب في هذا الحال، قال: المحتضر أن أمت عالماً فهو خير من أن أموت جاهلاً قال المربي الشوكاني: «أول ما على طالب العلم أن يحسن نيته ويصلح طويته ويتصور ان هذا العمل الذي قصد له والأمر الذي أراده هو الشريعة التي شرعها الله سبحانه لعباده، وبعث بها رسله وأنزل بها كتبه، ويجرد نفسه عن أن

يشوب ذلك بمقصد من مقاصد الدنيا، أو يخلطه بما يكدره من الإرادات التي ليست منه»[١١٤].

ولكن ينجح ويتفرغ العالم فقد أوجب علماء الفقه التربوي الإسلامي على الدولة أن يهيء له الطعام والدواء وإلا وهنت طاقاته الفكرية بجمع الغذاء والدواء، قال المُربي الكبير الزرنوجي: «(ثم لابد لطالب العلم من القوت)، أي مما يقوم به بدن الإنسان من طعام، لأن طلبه إنما يكون بالبدن الصحيح ومن (معرفة ما يزيد فيه) أي في القوت ومن (معرفة ما يزيد في العمر والصحة) لأن حصول العلم يتوقف عليهما أيضاً»[١١٥].

وقال المربي الرباني الخطيب البغدادي: قال الثوري: «(عليك بعمل الأبطال، الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال)»[١١٦].

وقد أدرك علماء الفقه التربوي الإسلمي محفزات النفوس وأوجبوا الترغيب والترهيب واعتمدوا على مبدأ الثواب من الله تعالى لطالب العلم حتى يخلص للعلم ويفجر طاقاته العقلية كلها[١١٧]، وكل دولة إذا قصدت تفجير الملكات العلمية وجب عليها ان تبحث عن الإبداع العقلي، وهذا يتجلى جلياً إذا ما جعلت الدولة العلم كالنسيم والماء والغذاء والدواء، لا تذر طالباً الا وتقبله وتوفر له غذاءهُ ودواءه.

وإلا تجمدت القوى ورزءَ الطالب بخطوب الانجماد الفكري والأسى يحز في القلب[١١٨].

وقد أوجب الفقهاء التربويون المسلمون على العالم العمل إذا وصل لأن العلم أزكى النعم والآلاء.

وجب على صاحبه أن يعمل به وأن ينشره لكل من يشاء، قال الخطيب البغدادي: «عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان فيما أعلم قال: قال رسول الله ﷺ: **(ويل لمن لا يعلم وويلٌ لمن علم ثم لا يعمل ثلاثاً)**. وعن سليمان بن الربيع مولى العباس عن رسول الله ﷺ قال: **(ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه، وويل لمنْ يعلم ولا يعمل سبع مرات)**»[١١٩].

وفي رسائل أخوان الصفا: «واعلم أن كل علم وأدب لا يؤدي صاحبه إلى طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول إليها فهو وبال على صاحبه، وحجة عليه يوم القيامة»[١٢٠].

مقترحات الجميلي

بعد تجربة ستة وأربعين سنة في التدريس

١- يقترح الجميلي على وزارة التعليم العالي ان تغير منهج الدراسات العليا تغييراً جذرياً، إذ ان إبداع العقل لا يتفجر إذا تقارب المشرف والطالب، ولهذا ينبغي أن لا يشرف على الرسائل إلا من نال الأستاذية، أو كان أستاذ مساعد قد زكى أريجه من خلال كثرة نتاجه، وإلا كان عاجزاً عن إرشاد الطالب.

٢- يجب بالضرورة على الوزارة ان تمنع منعاً قاطعاً الاتجاه إلى تحقيق المخطوطات، إذ التحقيق يستطيع ان يقوم به أي مثقف، لأنه مقارنة بين النسخ المخطوطة في نسخة كذا وفي نسخة أخرى كذا. فأي إبداع عقلي وقد حققت عشرات الرسائل أجزاء من مخطوطات أكلها التراب ولا يوجد من يطبعها، لاسيما في الدراسات الفقهية.

٣- يجب أن يقبل الطالب إذا حصل على مرتبة امتياز أو جيد جداً وإلا فإن كثيراً من الطلبة قد حصلوا على جيد أو مقبول بوسائل شتى، وإذا قبلوا في الدراسة العليا يكون من منهج ما بني على الباطل فهو باطل.

٤- أقترح على الوزارة أن تعتمد سراً على علماء وإن كانوا محالين على التقاعد لا يخافون في الله لومة لائم، يكون رأيهم ملزماً وإلا فان آراء الخبراء الآن غير ملزمة ولا تجدي نفعاً.

٥- اقترح تأليف لجنتين للمناقشة، لجنة علنية ولجنة أخرى سرية على أن تأخذ الوزارة أيمان بالغة، وليكونوا من المتقاعدين ورأيهم يتسم بالإلزام.

٦- اقترح معاقبة المشرف إذا ردت الرسالة إذ كان يجب عليه إن لا يمنح موافقة الطبع.

٧- اقترح على الوزارة أن تؤسس مديرية إشراف علمي وإن كان المشرفون من المتقاعدين ويكون رأيهم ملزماً بعد ما يزورون الأساتذة والطلبة في صفوفهم.

٨- اقترح أن يصحح دفاتر الامتحانات أساتذة غير الذين درسوا الطلبة.

٩- اقترح على الوزارة أن تجعل اللغة الفرنسية في السنوات الأربعة لاسيما في كليات القانون، وأن ينجح الطالب في امتحان الكفاءة بمرتبة ثمانين بالمئة (٨٠٪)، وألا عجز عن الترجمة وصار من المجترين لا من المجتهدين.

١٠- أقترح منح الطالب للدراسات العليا مرتباً خاصاً به اذا تفرغ من وظيفته أو اذا لم يكن موظفاً.

١١- اقترح عدم تقييد طالب الدراسة العليا بسن معين لأن العبقرية والنبوغ موهبة ربانية لا ندري متى تتفجر.

١٢- أقترح على الوزارة أن تتدخل في المؤتمرات التي تعقد خارج العراق أو داخله، لأن المصلحة الذاتية الشخصية قد غلبت على المصلحة العلمية، اذ قد ترشح الكلية مدرساً وتترك أستاذ لأسباب معروفةٍ في العراق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

١٣- اقترح على السيد وزير التعليم العالي أن يعيد النظر في المَجمع العلمي، كيف لا يرشحون أستاذ أول وهناك أستاذ من سنة الواحد والتسعين له أربعون بحث علمي منشور وله ما يقارب العشرين كتاب وله موسوعة النفحات في تأليف وتخريج أحاديث النحاة، وقد منح لقب طه حسين العراق من جامعة القاهرة.

كيف لا يرشحونه ويرشحون من ليس مشهوراً بالتأليف والنتاج العلمي، هذا خير دليلٍ على سوء منهج الاختيار فإذا أراد السيد الوزير أن ينمي الملكات العقلية أرجوا أن يعيد النظر في منهج اختيار المجمع العلمي ليكونوا من العلماء المشار إليهم بالبنان، كما هو معمول به في الدول المتقدمة كافة.

مع الشكر الجزيل والثناء الجميل...

هوامش البحث

[١] انظر: سورة الأنفال الآية (٥٢-٥٣).

[٢] انظر: سورة الرعد الآية (١١).

[٣] انظر: سورة هود الآية (٦١).

[٤] انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي، المجلد٣، ص٥٤٧.

[٥] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، المجلد٣، ص١١٨٣.

[٦] انظر: سورة البقرة الآية (٣٠-٣٣).

[٧] السكرجة: هي إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم.

[٨] انظر: التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم للإمام الطبري، المجلد١، ص(١٤٦-١٤٧).

[٩] انظر: كتاب تفسير الرازي مفاتيح الغيب، ط١، المجلد١، ص٣٦٥.

[١٠] انظر: سورة البقرة الآية (٢١٩).

[١١] انظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب، ط١، المجلد٢، ص٣٣٥.

[١٢] انظر: سورة البقرة الآية (٢٦٦).

[١٣] انظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب، ط١، المجلد٢، ص٣٤٣.

[١٤] انظر: سورة الأعراف الآية (١٨٤).

[١٥] انظر: تفسير البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي، ط٢، المجلد٤، ص٤٣٠.

[١٦] انظر: سورة الروم الآية (٨).

[١٧] انظر: تفسير القرآن العظيم للسخاوي المصرين، ط١، ج٢، ص٦٤.

[١٨] انظر: تفسير القرآن العظيم للسخاوي المصرين، ط١، ج٢، ص٦٤.

[١٩] انظر: سورة الذاريات الآية (٢١).

[٢٠] انظر كتاب المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة للدكتور عبد المنعم الحنفي، ط٣، سنة ٢٠٠٠م، القاهرة، ص٨٩.

[٢١] انظر: كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبن عجيبة الحسني، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، المجلد السابع، ص٢٠٥.

(٢٢) انظر: كتاب إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ط١، المجلد٣، ج٨، ص(١٠٩-١١٠).

(٢٣) انظر: سورة آل عمران الآية (١١٩).

(٢٤) انظر: سورة الواقعة الآية (٧٥-٧٦).

(٢٥) انظر: سورة الرحمن الآية (٣٣).

(٢٦) العلم يدعو للإيمان، تأليف: كربسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، طبع مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٥٤م، ص(٩-١٠).

(٢٧) انظر: سورة الأعراف الآية (١٧٦).

(٢٨) انظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج٢، ص١٧٨.

(٢٩) انظر: سورة يونس الآية (٢٤).

(٣٠) انظر: سورة الرعد الآية (٣).

(٣١) انظر: تفسير الميزان في تفسير القرآن للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، طبع منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٧٢م، ج١١، ص(٢٩١-٢٩٢).

(٣٢) انظر: سورة النحل الآية (١٠-١١).

(٣٣) انظر: كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، ضبطه وصححه واعتنى به محمد عبد السلام شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، المجلد٤، ج٨، ص(١١٠-١١١).

(٣٤) انظر: كتاب فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم إعداد مركز الدراسات القرآنية، مؤسسة الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ، ج٣، ص١٣٧٨.

(٣٥) انظر: سورة النحل الآية (٤٣-٤٤).

(٣٦) انظر: كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي للإمام العالم العلامة أبي إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، المجلد٣، ص٥١٦.

(٣٧) انظر: سورة النحل الآية (٦٩).

[٣٨] انظر: تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم المسمى تفسير طنطاوي جوهري، الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، ضبطه وحققه واعتنى به محمد عبد السلام شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد٤، ج٨، ص١٤٠.

[٣٩] انظر: سورة الروم الآية (٢١).

[٤٠] انظر: تفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن تأليف الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد٥، ص٢٧٩.

[٤١] انظر: كتاب رحلة ابن بطوطة، طبع المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٤م، ج٢، ص١٤.

[٤٢] انظر: سورة الزمر الآية (٤٢).

[٤٣] انظر: تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبع مؤسسة التاريخ بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٢٤، ص٩٩.

[٤٤] انظر: سورة الجاثية الآية (١٣).

[٤٥] انظر: تفسير التبيان في تفسير القرآن للشيخ أبي جعفر الطوسي، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، المجلد٩، ص٢٥٢.

[٤٦] انظر: سورة المدثر الآية (١٨–١٩).

[٤٧] انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن لمؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٩، ص٣٨٨.

[٤٨] انظر: سورة الحشر الآية (٢١).

[٤٩] انظر: سورة النساء الآية (٤٠).

[٥٠] انظر: سورة يونس الآية (٦١).

[٥١] انظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، المجلد٣، ج٦، ص٧٣.

(٥٢) انظر ذلك في تفسير في ضلال القرآن، لسيد قطب، ج٨، ص١٤٦، وأنظر: (الأساس في التفسير)، لسعيد جوى، المجلد١١، ص٦٦٢٢.

(٥٣) انظر: سورة القارعة الآيات (١-٥).

(٥٤) انظر: كتاب دستور العلماء أو جامع العلوم تأليف القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد النكري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد٣، (باب الفاء مع الكاف)، ص٣١.

(٥٥) انظر: كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي، تحقيق وتقديم: الدكتور سليمان دنيا، طبع دار المعارف، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٧م.

(٥٦) كتاب تهافت التهافت للقاضي أبو الوليد محمد بن رشد، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، طبع دار المعارف، القاهرة، ط٤.

(٥٧) انظر: كتاب الكُليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، طبع مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٦١٨.

(٥٨) انظر: سورة البقرة الآية (٧٥).

(٥٩) انظر: سورة البقرة الآية (٢٥٦-٢٥٧).

(٦٠) انظر: تفسير الكشاف للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، طبع دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ج١، ص١٥٦.

(٦١) انظر: سورة البقرة الآية (٤٤).

(٦٢) انظر: سورة البقرة الآية (٧٣).

(٦٣) انظر: عرائس البيان في حقائق القرآن، تأليف الشيخ العارف بالله تعالى أبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر البقلي، طبع دار الكتب العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ج١، ص٥٤.

(٦٤) انظر: سورة آل عمران الآية (٦٥).

(٦٥) انظر: تفسير القرآن للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري وروايته، طبع دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ج١، ص٢٤٣.

(٦٦) انظر: سورة آل عمران الآية (١١٨).

[٦٧] انظر: تفسير تيسير التفسير لقطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، تحقيق وإخراج: الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي، طبع المطبعة الشرقية، مسقط، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج٢، ص(٤٣٨-٤٣٩).

[٦٨] انظر: سورة يوسف الآية (١-٢).

[٦٩] انظر: سورة يس الآية (٦١، ١٦٢)

[٧٠] انظر: تفسير كنز الرقائق للمفسر الكبير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي، تحقيق: حسين دركاهي، طبع دار القديد، قم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج١١، ص٧١.

[٧١] انظر: سورة الإسراء الآية (٤٤).

[٧٢] انظر: كتاب مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب في علم التصوف، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

[٧٣] انظر: سورة يونس الآية (١٠١).

[٧٤] انظر: سورة الأنبياء الآية (٣٠).

[٧٥] انظر: كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، طبع في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص(٧-٨).

[٧٦] انظر: كتاب الطواسين للحسين بن منصور الحلاج، تحقيق ودراسة: لويس ماسينيون، إعداد وترجمة: رضوان السح وعبد الرزاق الأصفر، طبع دار الينابيع للنشر، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٣٧.

[٧٧] انظر: سورة النور الآية (٣٥).

[٧٨] انظر: كتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تأليف حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ص(٦١-٦٢).

[٧٩] في قطيعة الجاهل وقاية من الجهل قليلة وكثيرة.

[٨٠] نبي الله سليمان عليه السلام.

[٨١] انظر: روائع من واحة الحِكم والحكماء، تأليف ايمن السيد، طبع دار طيبة الدمشقية، سوريا، ص(٦٣-٦٤).

(٨٢) انظر: الملل والنحل تأليف ابي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر احمد الشهرستاني، ج١، ص(١٤٢-١٤٣).

(٨٣) انظر: كتاب فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة، تأليف ابي القاسم البلخي القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، اكتشفها وحققها فؤاد سيد، طبع الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م، وأنظر: كتاب ثورة العقل للدكتور عبد الستار عز الدين الراوي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، العراق، ١٩٨٢م.

(٨٤) انظر: كتاب شرح الأصول الخمسة، لقاضي القضاة عبد الجبار بن احمد، ص٦٥.

(٨٥) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، املاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار، النظر والمعارف، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج١٢، ص٢٣.

(٨٦) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل، إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار، (النظر والمعارف)، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، ج١٢، ص٣٧٣.

(٨٧) انظر: سورة البقرة الآية (١٧٩).

(٨٨) انظر: سورة البقرة الآية (٢٦٩).

(٨٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، طبع المكتبة العلمية، بيروت، ج٤، ص٤١٤.

(٩٠) انظر: سورة طه الآيات (٥٣-٥٤).

(٩١) انظر: تيسير التفسير لقطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج٩، ص١٦٩.

(٩٢) انظر: معجم مفردات الفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص٥٢٩.

(٩٣) انظر: سورة الحجر الآية (٨٠).

(٩٤) انظر: معجم مفردات الفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٠٧.

(٩٥) انظر: كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار تصنيف الإمام محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج٣، ص(١٣٧-١٣٨).

[٩٦] لعله عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن سعد بن أبي ذياب المدني، من نفاة روات الحديث، روي عن ابيه وأبي هريرة وسهل بن سعد، وعبيد بن حنين، وعنه مجاهد بن جبر ومالك وسعيد بن ابي هلال وغيرهم، ترجمته في تهذيب التهذيب، (٥: ٢٩٢)، ولعله عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، ذكره ابن سعد في الطبقات، (٥: ٢)، في أنباء عبد الرحمن.

[٩٧] هو الحجاج بن يوسف الثقفي.

[٩٨] هو إياس بن معاوية المزني قاضي البصرة.

[٩٩] هو علي بن عبيدة الريحاني.

[١٠٠] هو معن بن زائدة الشيباني.

[١٠١] انظر: سورة يس الآية (٧٠).

[١٠٢] هو بزجمهر بن البختكان.

[١٠٣] متصفح: اسم فاعل من تصفح الشيء، نظر فيه، يقال: تصفح الكتاب وتصفح القوم: نظر فيهم ليفرق أمورهم أو ليتعرف أحدهم، والمراد هنا: المدقق في الأمور.

[١٠٤] متسمح: اسم فاعل من تسمح اذا فعل شيئاً فسهل فيه، ويريد به المتساهل الذي لا يحقق في الأمور.

[١٠٥] المعلى بن أيوب من كتاب الدواوين في دولة بني العباس خازن الخليفة موسى الهادي، وكان يدخل على المأمون وقيل العلى ابن اخت الحسن بن أبي سعيد كاتب المأمون على العامة وكانت له دار في سر من رأى، ومات سنة ٢٥٥.

[١٠٦] هو محمد بن عبد الملك الزيات.

[١٠٧] هو محمد بن القاسم.

[١٠٨] انظر: كتاب الحياة العقلية أو دروس في علم النفس للبروفسور ر.س ودورث، نقله إلى العربية احمد سامح الخالدي، مطبعة المعارف، مصر، ط١، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ص٥٥١.

[١٠٩] انظر: سورة الحجرات الآية (١٠).

[١١٠] انظر: كتاب علم النفس التربوي في الإسلام تأليف الدكتور يوسف مصطفى القاضي والدكتور مقدار بالجن، طبع دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية،

ص١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، (٨٦-٨٧). وأنظر: كتاب منهج التربية النبوية للطفل تأليف محمد نور بن عبد الحفيظ سويد، صفحات شتى.

(١١١) أنظر: مكارم الأخلاق للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م، صفحات شتى. وأنظر: مكارم الأخلاق للإمام الطبراني. وأنظر: مكارم الأخلاق لأبي الدنيا القرشي البغدادي، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ويليه أخلاق العلماء للأجري، صفحات شتى، وكتاب (درة الناصحين) للعلامة عثمان بن حسن بن أحمد الحوبوي، صفحات شتى.

(١١٢) انظر: كتاب استراتيجيات حديثة في طرائق تدريس العلوم، تأليف الدكتور صبحي حمدان أبو جلالة، طبع مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٩٩م، صفحات شتى.

(١١٣) انظر: كتاب أدب المفتي والمستفتي للإمام الحافظ المحدث أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح الشهرزوري، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص١٠٩. وأنظر: كتاب النَبذ في آداب طلب العلم تأليف حمد بن إبراهيم العثمان، طبع دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، مبحث (الإخلاص لله عز وجل)، ص٩.

(١١٤) انظر: أدب الطلب ومنتهى الأرب لشيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٨١.

(١١٥) انظر: تفهيم المتفهم، شرح تعليم المتعلم طرق التعلم لبرهان الإسلام الزرنوجي، طبع دار الرسالة، داغستان- محج قلعة، ص٢٦٩.

(١١٦) انظر: كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، ج١، ص٩٨، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(١١٧) انظر: كتاب الرسالة المفصلة تأليف أبو الحسن علي القابسي، طبع الشركة التونسية للتوزيع، ص٤٤.

(١١٨) انظر: كتاب الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية تأليف جورج شهلا الماس شهلا، وعبد السميع حربلي، طبع دار العلم للملايين، بيروت، ص(٧١-٧٢).

(١١٩) انظر: اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، ط٥، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٤م، ص٤٧.

(١٢٠) انظر: آداب المتعلمين تأليف اخوان الصفا والغزالي ونصير الدين الطوسي، ص٣٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١. أخلاق العلماء، للآجري.
٢. آداب المتعلمين، تأليف اخوان الصفا والغزالي ونصير الدين الطوسي.
٣. أدب الطلب ومنتهى الأرب، لشيخ الإسلام القاضي محمد بن علي الشوكاني، طبع دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٤. الأساس في التفسير، سعيد حوى.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، طبع المكتبة العلمية، بيروت.
٦. تفسير البحر المحيط لأبو حيان الأندلسي، ط٢، المجلد٤.
٧. تفسير التبيان في تفسير القرآن، للشيخ أبي جعفر الطوسي، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب قصير العاملي، مطبعة النعمان، النجف، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، المجلد٩.
٨. تفسير التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، طبع مؤسسة التاريخ، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٩. تفسير الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المسمى تفسير طنطاوي جوهري تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، ضبطه وحققه واعتنى به محمد عبد السلام شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد٤.
١٠. تفسير القرآن العظيم، للسخاوي المصري ط١.
١١. تفسير القرآن، للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري وروايته، طبع دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
١٢. التفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، للإمام الطبراني، المجلد١.
١٣. تفسير الكشاف، للإمام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، طبع دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان.
١٤. تفسير الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، طبع منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.

١٥. تفسير تيسير التفسير، لقطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، تحقيق وإخراج: الشيخ إبراهيم بن محمد طلاي، طبع المطبعة الشرقية، مسقط، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
١٦. تفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن، تأليف الإمام القاضي مجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، المجلد٥.
١٧. تفسير في ضلال القرآن، سيد قطب.
١٨. تفسير كنز الرقائق، للمفسر الكبير العالم العارف الميرزا محمد المشهدي، تحقيق: حسين دركاهي، طبع دار القديد، قم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٠م.
١٩. تفهيم المتفهم شرح تعليم المتعلم طرق التعلم، لبرهان الإسلام الزرنوجي، طبع دار الرسالة، داغستان- محج قلعة.
٢٠. تيسير التفسير، لقطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢١. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٢٢. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، المجلد٣.
٢٣. درة الناصحين، الحوبوي.
٢٤. روائع من واحة الحكم والحكماء، تأليف ايمن السيد، طبع دار طيبة الدمشقية، سوريا.
٢٥. عرائس البيان في حقائق القرآن، تأليف الشيخ العارف بالله تعالى أبي محمد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر ألبقلي، طبع دار الكتب العالمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٦. العلم يدعو للإيمان، تأليف: كربسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، طبع مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤م.
٢٧. كتاب إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، ط١، المجلد٣.
٢٨. كتاب ادب المفتي والمستفتي، للإمام الحافظ المحدث ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن (المعروف بابن الصلاح الشهرزوري)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٢٩. كتاب استراتيجيات حديثة في طرائق تدريس العلوم، تأليف الدكتور صبحي حمدان أبو جلالة، طبع مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٩٩٩م.
٣٠. كتاب البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبن عجيبة الحسني، ط١، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، المجلد ٧.
٣١. كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٣٢. كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري المصري، ضبطه وصححه واعتنى به محمد عبد السلام شاهين، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، المجلد٤.
٣٣. كتاب الحياة العقلية أو دروس في علم النفس، للبروفسور ر.س ودورث، نقله الى العربية احمد سامح الخالدي، مطبعة المعارف، مصر، ط١، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
٣٤. كتاب الرسالة المفصلة، تأليف أبو الحسن علي القابسي، طبع الشركة التونسية للتوزيع.
٣٥. كتاب الطواسين، للحسين بن منصور الحلاج، تحقيق ودراسة: لويس ماسينيون، اعداد وترجمة: رضوان السح وعبد الرزاق الأصفر، طبع دار الينابيع للنشر، ط٢، ٢٠٠٩م.
٣٦. كتاب الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير الثعلبي، للإمام العالم العلامة أبي إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، المجلد٣.
٣٧. كتاب الكُليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، طبع مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٣٨. كتاب المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، للدكتور عبد المنعم الحنفي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠م.
٣٩. كتاب النَبذ في آداب طلب العلم، تأليف حمد بن إبراهيم العثمان، طبع دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مبحث (الإخلاص لله عز وجل).
٤٠. كتاب الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية، تأليف جورج شهلا الماس شهلا، وعبد السميع حربلي، طبع دار العلم للملايين، بيروت.
٤١. كتاب تفسير الرازي مفاتيح الغيب، ط١، المجلد١.

٤٢. كتاب تهافت التهافت، للقاضي أبو الوليد محمد بن رشد، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، طبع دار المعارف، القاهرة، ط٤.
٤٣. كتاب تهافت الفلاسفة، للإمام الغزالي، تحقيق وتقديم: الدكتور سليمان دنيا، طبع دار المعارف، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٧م.
٤٤. كتاب دستور العلماء أو جامع العلوم، تأليف القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد النكري، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد٣، (باب الفاء مع الكاف).
٤٥. كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تصنيف الإمام محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٤٦. كتاب رحلة ابن بطوطة، طبع المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٤م.
٤٧. كتاب علم النفس التربوي في الإسلام، تأليف الدكتور يوسف مصطفى القاضي والدكتور مقدار بالجن، طبع دار المريخ للنشر، الرياض- المملكة العربية السعودية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٤٨. كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تأليف أبي القاسم البلخي القاضي عبد الجبار، الحاكم الجشمي، اكتشفها وحققها فؤاد سيد، طبع الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م.
٤٩. كتاب ثورة العقل، للدكتور عبد الستار عز الدين الراوي، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، العراق، ١٩٨٢م.
٥٠. كتاب فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم، إعداد مركز الدراسات القرآنية، مؤسسة الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
٥١. كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، طبع في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٢. كتاب معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تأليف حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي.
٥٣. كتاب مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، في علم التصوف، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، طبع دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٥٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، لمؤلفه الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبن عطية الأندلسي، المجلد٣.
٥٦. معجم مفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٧. المغني في أبواب التوحيد والعدل، املاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار، (النظر والمعارف)، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
٥٨. مكارم الأخلاق، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م.
٥٩. الملل والنحل، تأليف ابي الفتح محمد عبد الكريم ابن أبي بكر احمد الشهرستاني.
٦٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام البقاعي، المجلد٣.